

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### رَمَضَانُ: صَفَاءُ النَّفْسِ وَنَفْعُ النَّاسِ بِالصَّدَقَةِ وَالْوَقْفِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الصِّيَامَ جُنَّةً، وَجَعَلَ الصَّدَقَةَ بُرْهَانًا، وَفَتَحَ لِعِبَادِهِ بِهِمَا أَبْوَابَ الْجَنَّةِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَحْسَنُ الْعَابِدِينَ، وَأَفْضَلُ الصَّائِمِينَ وَالْمُتَصَدِّقِينَ، ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

نَعِيشُ أَيَّامَ رَمَضَانَ فِي وَافِرٍ مِنَ النِّفَحَاتِ الرَّحْمَانِيَّةِ، فَقَدْ مَيَّزَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِفَضَائِلَ لَمْ يُمَيِّزْ بِهَا غَيْرَهُ مِنَ الشُّهُورِ؛ فَهُوَ شَهْرُ الْجُودِ وَالصَّبْرِ، شَهْرُ الْقِيَامِ وَالاجْتِهَادِ، شَهْرُ مُضَاعَفَةِ الْأَجُورِ، وَشَهْرُ الْبَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَالْهِدَايَةِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ (٢)، وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَزِيدُ هَذِهِ الْأَيَّامَ شَرَفًا أَنَّنَا بَلَغْنَا عَشَرَ رَمَضَانَ الْأَخِيرَةِ، وَهِيَ ذِرْوَةُ الشَّهْرِ وَخُلَاصَتُهُ، وَقَدْ خَصَّهَا نَبِيُّكُمُ الْكَرِيمُ ﷺ بِاجْتِهَادٍ عَظِيمٍ، قِيَامًا وَاعْتِكَافًا وَمُدَارَسَةً لِكِتَابِ اللَّهِ. وَقَدْ خَتَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْقُرْبَاتِ بِخُلُقٍ عَظِيمٍ هُوَ الْبَدْلُ وَالْإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ إِذْ تَتَضَاعَفُ بَرَكَةُ الصَّدَقَةِ فِي هَذِهِ اللَّيَالِي، وَتَسْمُو بِهَا النَّفُوسُ، وَتَصْفُو بِهَا الْقُلُوبُ، يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ، فَيَأْتِيهِ جِبْرِيلُ فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ))، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهَذَا الْهَدْيِ الْمُبَارَكِ فَلْيَجْعَلْ مِنْ هَذِهِ اللَّيَالِي مِيدَانًا لِلْبَدْلِ، وَلِيَأْخُذْ نَفْسَهُ بِأَسْبَابِ الْقُرْبِ؛ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (٣).

(١) الحشر: ١٨

(٢) البقرة: ١٨٥

(٣) الأحزاب: ٢١



أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِذَا كَانَتْ أَبْوَابُ الْخَيْرِ هَذِهِ قَدْ فُتِحَتْ، وَسُئِلُ الْقُرْبُ قَدْ تَهَيَّأَتْ، فَابْتَغُوا إِلَى اللَّهِ الْوَسِيلَةَ، وَاسْتَكْثِرُوا مِنَ الْقُرْبَاتِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾<sup>(١)</sup>. وَقَدْ رَغِبَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْإِنْفَاقِ، وَبَشَّرَ أَهْلَهُ بِالْبَرَكَاتِ وَالْخَلْفِ، فَقَالَ: ((مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ)). وَلَا يَخْفَى عَلَى اللَّيْبِ عَظْمُ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَجَمَالُ أَثَرِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ فَهُوَ عِبَادَةٌ تُرَكِّي الْمَالَ، وَتُطَهِّرُ الْقَلْبَ، وَتَفْتَحُ أَبْوَابَ الْبَرَكَاتِ، وَقَدْ أَتَى اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْإِحْسَانِ وَالْإِنْفَاقِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الصَّدَقَاتِ وَأَبْقَاهَا أَثَرًا مَا دَامَ رِنْعُهَا مُتَّصِلًا، وَنَفْعُهَا مُمْتَدًّا، وَأَجْرُهَا جَارِيًا لَا يَنْقَطِعُ؛ صَدَقَةٌ تَتَحَوَّلُ مِنْ عَمَلٍ مُوقَّتٍ إِلَى أَثَرٍ دَائِمٍ، وَمِنْ عَطَاءٍ لَحْظَةٍ إِلَى بِنَاءِ أُمَّةٍ. وَلِهَذَا جَاءَ الْبَيَانُ النَّبَوِيُّ الصَّرِيحُ الَّذِي يَرْفَعُ الْوَقْفَ إِلَى مَقَامِهِ، إِذْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)).

أَلَا وَإِنَّ الْوَقْفَ -عِبَادَةَ اللَّهِ- مِنْ أَظْهَرِ صُورِ هَذِهِ الصَّدَقَةِ الْجَارِيَةِ، وَأَشْرَفِ أَبْوَابِهَا؛ فَهُوَ حَبْسُ الْمَالِ وَتَسْبِيلُ الْمَنْفَعَةِ، وَتَجْمِيدُ الْأَصْلِ لِتَبْقَى ثِمَارُهُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَلِلْمَسَاجِدِ وَالْمَدَارِسِ، وَلِلْأَيْتَامِ وَالْمَرْضَى، وَلِوُجُوهِ الْبِرِّ الْعَامَّةِ؛ فَكَمْ مِنْ وَقْفٍ ظَلَّ قُرُونًا يُطْعِمُ الْجَائِعَ، وَيُعَلِّمُ الْجَاهِلَ، وَيَكْفُلُ الْيَتِيمَ، وَيَعْمُرُ بُيُوتَ اللَّهِ، وَصَاحِبُهُ تَحْتَ التُّرَابِ تُكْتَبُ لَهُ الْحَسَنَاتُ كَأَنَّهُ حَيٌّ بَيْنَ النَّاسِ يَعْمَلُ. وَلِهَذَا كَانَ الْوَقْفُ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ، يَفْتَحُ لِلْعَبْدِ حَيَاةً ثَانِيَةً بَعْدَ مَوْتِهِ، وَيَجْعَلُ أَثَرَهُ مُمْتَدًّا فِي الْأُمَّةِ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ. وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ بِالْخَلْفِ وَالزِّيَادَةِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾<sup>(٣)</sup>، وَثَبَّتَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ((يَا ابْنَ آدَمَ: أَنْفِقْ، أَنْفِقْ عَلَيْنِكَ)).

فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَةَ اللَّهِ-، وَاعْتَمِدُوا هَذِهِ اللَّيَالِيَ الْمُبَارَكَةَ، وَابْنُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَقَفًّا يَرْفَعُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ، وَيَجْعَلُ لَكُمْ نِكْرًا حَسَنًا فِي الْأَرْضِ، وَأَجْرًا مُتَّصِلًا فِي السَّمَاءِ، وَتَحَرَّوْا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا يَنْتَبُتُ

(١) المائدة: ٣٥

(٢) الرعد: ٢٢، ٢٣

(٣) سبأ: ٣٩



أَثَرُهُ، وَيَطُولُ نَفْعُهُ، وَتَدْوُمُ بَرَكَتِهِ؛ فَقَدْ سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ: ((أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ)).

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

\*\*\* \*\*

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ الشَّاكِرِ لِإِحْسَانِهِ، ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الصَّائِمُونَ: لَقَدْ مَضَتْ مِنْ رَمَضَانَ أَيَّامٌ مُبَارَكَاتٌ، تَسَابَقَتْ فِيهَا الْأَرْوَاحُ إِلَى أَبْوَابِ الرَّحْمَةِ، وَهَا نَحْنُ الْيَوْمَ فِي خَوَاتِيمِ الشَّهْرِ، وَفِي ذِرْوَةِ لَيْالِيهِ، فَلَا تَجْعَلُوا آخِرَهُ فُتُورًا بَعْدَ نَشَاطٍ، وَلَا غَفْلَةً بَعْدَ يَقَظَةٍ، بَلْ شَمِّرُوا عَنْ سَاعِدِ الْجِدِّ، وَازْدَادُوا قُرْبًا مِنَ اللَّهِ، كَمَا كَانَ هَدْيِي نَبِيِّكُمْ ﷺ، تَقُولُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِنْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيَّقَظَ أَهْلَهُ)). فَاجْعَلُوا آخِرَ عَهْدِكُمْ بِالشَّهْرِ أَكْثَرَ تَقَرُّبًا وَعِبَادَةً، وَأَحْسَنَ مُنَافَسَةً فِي الْخَيْرِ؛ فَإِنَّ الْعِبْرَةَ بِالْخَوَاتِيمِ، وَالْجَائِزَةَ لِلْمُنَافِسِينَ، وَالْبَرَكَاتَةَ لِلْمُحْسِنِينَ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ)) قِيلَ: كَيْفَ يَسْتَعْمَلُهُ؟ قَالَ: ((يُوقِفُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ)). وَمِنْ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تَحْتَمُونَ بِهَا شَهْرَكُمْ -عِبَادَةَ اللَّهِ- زَكَاةَ الْفِطْرِ، طَهْرَةَ لِلصَّائِمِ، وَإِغْنَاءَ لِلْفَقِيرِ يَوْمَ الْعِيدِ؛ فَقَدْ أَوْجَبَهَا الشَّرْعُ الْحَنِيفُ عَلَى الْقَادِرِ يُؤَدِّيهَا عَنْهُ وَعَمَّنْ يَعُولُ، يَقُولُ ابْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ((فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ)).

فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَةَ اللَّهِ-، وَأَحْسِنُوا خِتَامَ شَهْرِكُمْ بِالطَّاعَةِ وَالصَّدَقَةِ، وَسَلُوا اللَّهَ الْقَبُولَ وَالْعِتْقَ مِنَ النَّارِ، وَتَقَفَّهُوا فِي أَحْكَامِ زَكَاةِ الْفِطْرِ، وَأَخْرِجُوهَا فِي وَقْتِهَا، وَأَدْوَهَا كَمَا آدَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَاعْتَمُوا أَيَّامَكُمْ فِي طَاعَةِ مَوْلَاكُمْ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ (١).



هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، مُحَمَّدِ الْهَادِي الْأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْخَيْرِ، وَانكسرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَارْتَبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ كُنْ عَوْنًا لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَكُنْ مَعَهُمْ وَثَبْتُهُمْ وَارْبِطْ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَصَبْرَهُمْ، وَاخْذُلْ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ، وَاجْعَلِ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرَّشْدِ، وَنَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَنَسْأَلُكَ قُلُوبًا سَلِيمَةً، وَالسَّيِّئَةَ صَادِقَةً، وَنَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اخْفِظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ، وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ

يُعْظَمُ لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

